

## بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة : ٠٠٢٦ - الطريق إلى معرفة الله .

٠٧-٠٣-١٩٧٥

### الخطبة الأولى :

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده ، و عنت الوجوه لعظمته ومجده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه واعتزته الطيبين الطاهرين .

### الطريق إلى الله :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في الخطبة السابقة تحدثت عن أن من أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، وبينت أن هذه الشهادة يجب أن تكون شهادة ، وشهوداً ، ورؤية ، وعلماً حتى يكون أثرها واضحاً في سلوكنا ، وعلاقتنا ، وحتى تنتهي بنا إلى دار السلام بسلام .

ولكن ما إن انفض المصلون في الجمعة الفاتنة ، حتى استوقفني أحدهم ، وقال لي : لقد أقمنا بأن شهادة لا إله إلا الله ، لا تصح إلا إذا حملت صاحبها على الاستقامة ، ولكن ما السبيل إلى بلوغ هذه الشهادة على حقيقتها ؟ .

قلت له : يا أخي إن الإيمان بأن لا إله إلا الله يقتضي أن تؤمن بالله أولاً ، والله سبحانه لا تدركه الأبصار ، ولكننا نتعرفه بهذا الفكر الدقيق من خلال الكون العظيم .

ألا تحكم يا أخي حكماً قاطعاً لوجود الكهرباء في السلك إذا كان المصباح متألماً ؟ .

ألا تحكم حكماً قاطعاً بوجود النار وراء الجدار إذا كنت ترى الدخان متصاعداً ؟ .

الأقدام تدل على المسير ، والبعير يدل على البعير ، والماء يدل على الغدير ، أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير .

يا أخي ؛ إن المعرفة عن طريق الفكر لا تقل يقيناً عن المعرفة التي تنشأ عن طريق الحواس .

يا أخي ؛ هذا الكون بسمائه وأفلاكه ، ونجومه وكواكبه ، وأرضه وما فيها من جبال وواد وبحار وأنهار ، وأسماك ، وأطيوار ، وزرع ، ونخيل ، وإنسان ، وحيوان ، ليدلك على الله ، ويشهد لك بعظمته، ولا تذهب بعيداً يا أخي ؛ جسمك الذي هو أقرب شيء إليك هل فكرت في عظمته وبديع صنعه :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ \* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ \* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ \* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ \* كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾

[سورة عبس]

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

[سورة التين]

﴿ فَأَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ \* أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا \* ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَقًا \* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعِنَبًا وَقَضْبًا \* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا \* وَحَدَائِقَ غُلْبًا \* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾

[سورة عبس]

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد]

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة النحل]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

[سورة المؤمنون]

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء]

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى \* أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى \* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى \* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾

[سورة القيامة]

## التفكير :

يا أخي ؛ إذا تفكرت في هذه الآيات الباهرات انفعلت نفسك انفعالين انفعال التعظيم ، وانفعال المحبة ، لأن النفس الإنسانية فطرت هكذا ، لقد فطرت يا أخي على أن تعجب بالعظمة ، وعندما يُسدى إليك معروف أو تمتد إليك يد بنعمة ، يلهج لسانك بالثناء ، ويمتلئ فؤادك بالحمد، جاء في الحديث القدسي :

**(( يا داود ذكر عبادي بإنعامي عليهم ، فإن النفوس جُبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها ))**

لقد فطرت يا أخي ، على الإعجاب بالعظمة ، والاحتراف بصاحبها وتقدير النعمة ، وشكر مسيرها ، فلو فكرت في آيات هذا الكون لوجدت عظمة لا تنتهي ، وإنعاماً لا ينقضي .  
وعندئذ تميل نفسك بالمحبة ، وتسكن جوارحك بالخشوع ، وعندها تجد في نفسك دافعاً قوياً إلى الاستقامة على أمر هذا الرب العظيم ، وتطبيق شرعه الحكيم .  
وعندئذ تصبح حالتك النفسية حالة من يقول :

**فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب  
إن صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب  
وليت شرابي من وداك سائغ وشربي من ماء الفرات سراپ**

يا أخي ؛ سحرة فرعون حينما رأوا آية من آيات الله ملأت العظمة قلوبهم ، وخالطت المحبة أفئدتهم ، فآثروا الموت على أن يرتدوا عن إيمانهم ، فقال لهم فرعون :

**﴿ قَالَ أَمْنُم لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ  
وَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى \* قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ  
وَالَّذِي فَطَرْنَا فَافْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا  
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا  
يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى \* جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾**

[سورة طه]

لهذا كله ، قال عليه الصلاة والسلام :

**(( تفكر ساعة خير من عبادة ستين عاماً ))**

لأن التفكير يورث تعظيماً ، والتعظيم يؤدي إلى الاستقامة ، والاستقامة عين الكرامة .  
وقال تعالى :

**﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ \* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ \*  
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ  
آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾**

[سورة الجاثية]

يا أخي ؛ الإيمان بالله ليس في هزّ الرؤوس ، واستكائة النفوس ، وليس في ترديد الأقوال وترك الأفعال، الإيمان ليس تعلقاً بالأوهام وإعجاباً بالأساطير ولكنه بحث ، ودرس ، وفهم ، وتبصر ، وتفكر ، وتعظيم ، واستقامة ، وعمل .

وأما مادة البحث والدرس ، والتفكير والتعظيم ، فهي الكون من ذرته إلى مجرته ، ومن أرضه إلى سمائه ، ومن نفسك إلى العوالم المحيطة بك .

يقول الشيخ الإمام محمد عبده : الله في خلقه كتابان ، القرآن وهذا الكون .

**عرفتك يا ربي ببحث وفطرة فجنتك حباً طاهر القلب خاليا**

سل الواحة الخضراء والماء جاريا وهذي الصحارى والجبال الرواسيا  
سل الروض مزداناً سل الزهر والندى سل الليل والإصباح والطيور شاديا  
وسل هذه الأنام والأرض والسما وسل كل شيء تسمع الحمد ساريا

وإذا رأيت النبات في الحراء يربو وحده فاسأله من أرباك  
وإذا رأيت البدر يسري ناشراً أنواره فاسأله من أسراك  
وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال جرى فسأله من الذي أجراك  
وإذا رأيت الليل يغشى داجاً فسأله من يا ليل حاك دجاك  
وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحياً فسأله من يا صبح قد أضحاك  
الشمس والبدر من أنوار حكمته والبر والبحر فيض من عطايه  
الطير سبحة والزرع قدسه والموج كبيره والحوت ناجاه  
والنمل تحت الصخور الصم مجده والنحل يهتف حمداً في خلاياه  
الناس يعصونه جهراً فيسترهم العبد ينسى وربى ليس ينساه

يا أخي ؛ إذا آمنت بالله هكذا ، ذاقت نفسك حلاوة الإيمان ، وساعة تحب الطاعة ، وتزدان في نظرك ، وتكره الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، فإذا أنت من الراشدين .

وكن يا أخي كصهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه .

خطب عليه الصلاة والسلام فقال :

**(( أيها الناس : إن بين يدي الساعة أموراً شداداً ، وزماناً صعباً فأعدوا لذلك الإيمان ، وعضوا عليه**

**بالنواجذ ، تفضوا إلى النعيم الدائم ))**

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى .

## والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

### الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

### الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا واراض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، ودم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وببيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا إلا أنت .